إلى ترك ديارهما هي أسباب اضطرارية، دون أن يكون لهما خيار في ذلك. وفي كلتا الروايتين نجد أن المرأة هي القوة الرئيسية والفاعلة التي تدفع للخروج. ويمكن أن يكون هدف الخروج، في كلتا الروايتين، هو العودة إلى البيت السليم الذي سيقوم على شكل البيت الذي دُمر أو الذي سيواجه الخراب، كما أن الخروج بمحض الإرادة لا يمكن أن يكون ضماناً لنجاح العودة، والدليل على ذلك ما حدث مع اسحـق كومار بطل رواية «الأمس الأول»[٣].

ويتكرّر، في هذا السياق، موضوع «البيت»؛ وهو يرمز إلى عالم الآباء وما يعنيه هذا من تديّن وتقاليد. ويرتبط بالبيت «المفتاح» الذي ورد ذكره مطوّلاً في رواية «واستقام المعوج» و«قصة شعبية» (١٩٣٥)، حيث رمز إلى إمكانية السيطرة على البيت.

وتندرج في هذا الإطار مشكلة الزمن في روايات عجنون من ناحية الصراع على الزمن. فصراع الكاتب مع الزمن هو صراع الإنسان مع الموت. وتتيح لنا روايات عجنون عموماً أن نميّز بين ثلاث نظرات، بالنسبة للتكوين الزمني: فهناك روايات مثل «في عرض البحر» تُعتَبر إعادة بناء شعري للماضي لطابعه الزمني الخاص، دون التأكيد ودون إبراز التوتر بين الحاضر وبين ذلك الزمن الذي مضى. وهناك روايات أخرى مثل «ضيف المساء» (١٩٣٩) و«الأمس الأول» (١٩٤٥)، تستخـدم تصادمـاً بين مقـاييس زمنية مختلفـة بمضامينها وقيمها، حيث يجمع الكاتب روحه المجزّأة والممزقة، في أوقات وأزمنة ذات نوعيات مختلفة يتنكّر كل منها للآخر. ثم هناك محاولة الكاتب التحلّل من كل هذا بالإلغاء المطلق للفروق الزمنية الموضوعية.

العلاقة بين القدس واليهود: وهناك عنصر آخر حرص عجنون على تضمينه معظم رواياته، ويتمثّل في مدينة القدس، والتأكيد على ارتباطها بالشعب اليهودي. إذ يصوّر عجنون العلاقة المتبادلة بين القدس والشعب اليهودي، في رواية «الأمس الأول»، فيقول: «عهد مقطوع لكل مدينة أن تترك بصماتها على المقيمين فيها، وبالأحرى مدينة الله التي رفعها الله عن كل المدن الأخرى، والتي لا تتركها العناية الإلهية أبداً. وإذا كانت العناية الإلهية خفية أو مغطّاة، إلا أنه يشعر بها، في أوقات وأزمنة، حتى الرجل البسيط من بين اليهود، الذي حظي بالإقامة في القدس... (ص ٢٥٨). وكذلك: «كـل من يخرج منهـا [القدس] فكأنما يسقط في جهنم» (ص ٢٧٤). ويحاول عجنون، في رواياته، بل انه لا يكِلُّ عن تقريب واقع القدس إلى قلوب قرائه، واصفاً أبوابها التي يقترب منها معظم أبطال رواياته بأرواحهم. ويصل به الأمر إلى حد التمييز بين واقعها المادي الملموس ومكانتها الروحية.

الإستيطان في فترة الهجرة الثانية

في رواية «الأمس الأول»

رواية «الأمس الأول»، هي أهم روايات عجنون وأطولها، وهي تقدّم نماذج وأنماطاً